والحرمات، والمسألة عندنا وعند جميع العقلاء غنية عن الاحتجاج وعن الإطناب في الاحتجاج: ونحن لا نريد أن نغفل المسلمون فعل النصارى وغيرهم من أهل الملل المحرفة في أيام معالم أنبيائهم وأعيادهم وغير ذلك ولا نريد أن يأتوا مثل ما يأتون من الخرافات والضلالات والفجور والعهر والفسوق واللهو الوقح والدعارة الفاحشة الماجنة في الذكريات التي يزعمون أنهم يحيون بها أنبياءهم ويكرمونهم ويعظمونهم ويقومون بما يجب لهم من الاحترام والتقديس فيعبدون غير الله ويعبدون غيرهم ما يبعدون الله ويتقربون به إليهم ويخرجون على شرائع التقوى وعلى آدابهم وما جاءوا به من النور والهدى بما يسمونه إحياء لذكراهم وتمجيدا لهم فيفجرون ويسكرون ويأتون ويرتكبون كل ما هو حرمة ولقصته فوق أقوالهم ثم يسمونه عيد الميلاد عيد الفصح عيد المسيح أو عيد كذا أو كذا مما يتصل بالأنبياء والقديسين والصالحين... هذا لا نريده من المسلمين ولا نريد منهم أن يقعوا فيه وقد حذرهم نبيهم سنن الأمم الماضية الضالة الهالكة، ولكن نريد منهم أن يعظموا أنبياءهم ورسلهم وصالحيهم التعظيم الصحيح المعقول وأن يقدروهم التقدير المشروع المطلوب. والتعظيم الصحيح المعقول لهم أن يفعل ما أحبوا منك أن تفعل وما كانوا يفعلون وأن تقف في المكان الذي طلبوا منك أن تقف فيه وفي المكان الذي كانوا يقفون فيه وأن تتأى عما طلبوا منك أن تتأى عنه وعما كانوا يتأون عنه... وأن ترى سعادتك ونجاتك في أن تكون على مثالهم فتقتفي آثارهم وتسير معهم مستهلا هديهم من الخير والعلم والهدى، إلا أن ظاهرا وباطنا، مستسلما لأمرهم كله دون تردد ولا إباء ولا جدال... كما قال تعالى: «وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله» إلى قوله: «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما» إلى قوله: «ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا» وكما قال تعالى: «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم...» والكتاب الكريم كله قائم على هذا الأصل قائم على أن السعادة لن تنال إلا بالاتباع وعلى أن من اتبع فقد نجا ومن لم يتبع فقد هلك ولا نجاة إلا بالاتباع وعلى أن الإيمان لا يكون إلا بالاتباع ولا يصح الاتباع إلا بالكتاب والسنة. وهذا الأصل لا يختلف في الكتاب آيتة ولا يختلف فيه المسلمون وما جاءت في السنة يدل على أن السعادة والنجاة تنال بغير ذلك من الاحتفال ما يسمى تعظيما أو تكريما نقصا أو زعم على تعظيم وهو في الواقع بعيد عن العبادة لتعظيم وعن قانونه. وليس هناك تعظيم أتم ولا أبلغ من تعظيم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم أصحاب الأنبياء عليهم السلام تعظيم قائم كله على الاتباع والامتثال والانقياد فأبو بكر الصديق الخليفة الأول وكذلك من كان معه من أصحابه لم يفعلوا شيئا من هذه الأفاعيل والألاعيب وكانوا أسبق الناس إلى اتباعه وأشدهم تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وكذلك ما كانوا يفعلونه باسمه ما [illegible] السلف والمسلمين بأسمائهم [illegible] وأهل العلم وأمثالهم ومن جاء بعدهم فيهم الصالحون والطالحون... هذا هو التعظيم الصحيح والتعظيم الذي نريده من المسلمين ولا نريد منهم أن يحتفلوا في أعيادهم وطاعتهم بالمشاهد والقبور ويعبدونها ويزخرفونها ويسرفون ويقسون ويتفاخرون عليها، ثم يدعون أنهم أحبوا أولياءهم وأحبوا من الصالحين بذلك... هذا الذي يدعوهم إليه الكاتب خذوا منا إلى قدامنا ويدعونا إلى الحالتين: فأي الفريقين أحق وأقرب بالإيمان والدين والحق والصواب يا قوم إن كنتم تعقلون؟

« تزيين القبور وكسوتها بالذهب والفضة وكسوتها بالحرير والديباج »

ثم قال الرافضي: «الفصل السادس عشر في تزيين المشاهد بالذهب والفضة والمعلقات والحلي والكسوة ونحو ذلك...» ثم ذكر في هذا الفصل أنه ذهب إلى ذلك واحتج له بثلاث حجج: الأولى زعم أن تزيين القبور بهذه الأمور نوع من التعظيم المطلوب المشروع لأصحابها. الثانية احتج بأن القطع للكعبة التي تهدى إليها الأموال بإجماع المسلمين بلا نكير من أحد منهم قال: «ولتثبت مثلها لحجر الحجرة النبوية ومشاهد الأنبياء والأئمة فإن العلة في الجميع واحدة والجهة واحدة». الثالثة استدل بأن بعض الملوك المسلمين قد كسوا الحجرة النبوية وعلقوا عليها قناديل الذهب والفضة. قال: «ولم ينكر هذا منكر»

وأيهما أولى باتباع النبي صلى الله عليه وسلم؟ لقد أجاب الله عن هذا السؤال بقوله تعالى: «إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين»

هذه هي الحجج التي احتج بها على جواز أن من الشرع تزيين المشاهد والقبور بالذهب والفضة وبالجواهر وبالحرير والديباج وغيره من أنواع الزينات، ونحن نذكر هنا إن شاء الله الجواب الباهر القاهر على تحريم هذا الذي زعم أنه من الشرع والدين ثم نثني بالرد بالنقض على حججه الثلاث